مدرسة الإسكندرية

وجود الشر في كتابات القديس غريغوريوس النيسي وكتابات ديونسيوس المنحول

عماد عاطف

إن لم تؤمنوا فلن تفهموا

العدد العاشر - ٢٠١٢

مجلة مدرسة الإسكندرية
عدد ١٠

"وجود الشر"
في كتابات القديس غريغوريوس النيسي
وكتابات ديونسيوس المنحول

البروفيسور قسطنطينوس سكوتيريس

ترجمة: م. عماد عاطف

"وجود الشر"*
في كتابات القديس غريغوريوس النيسي وكتابات ديونيسيوس المنحول

البروفيسور قنسطنطينوس سكوتيريس

ترجمة م. عماد عاطف

Eng_emad_atef@yahoo.com

كان السؤال المتعلّق بالشرّ مُلحًّا دائمًا على الفكر الآبائي. كانت الإشكاليّة الرئيسة التي تواجههم هي حقيقة وجود الله وبالرغم من ذلك تواجد مختلف أنواع الشرور في العالم. كيف لنا أن نبرِّر وجود إله قادر على كلّ شئ، إله ذو قدرة لانهائيّة، يتحكّم في كلّ شيء، مع وجود الشرّ في التاريخ البشري؟

لقد تلامست كتابات كلٌّ من القديس غريغوريوس النيسي وديونسيوس المنحول[1] مع هذا الموضوع. وقد اقترحا حلاًّ لهذه المُعضلة، عن طريق تطوير

---

* "*Malum privatio est*" : St. Gregory of Nyssa and Pseudo-Dionysius on the Existence of Evil (Some Further Comments), *Studia Patristica* 18, (1989), pp. 539-550.
Translated into Greek in the Annals of the Faculty of Theology of the Athens University, Athens, 1984, pp. 311-319.

[1] من العصور المسيحية الأولى ثار جدل حول شخصية ديونوسيوس، فهناك ثلاثة أشخاص بهذا الاسم هم: ديونوسيوس الأريوباغى والذي ذُكر في سفر أعمال الرسل(١٧:٣٤)، وديونوسيوس المنحول، وشخص آخر يسمى القديس ديونوسيوس من فرنسا. وخاصةً لأننا لا نعرف عنه إلاَّ القليل، هل هو ديونوسيوس الذي ذُكرَ في سفر أعمال الرسل، والذي آمن على يد بولس الرسول، أم هو راهب من أصل سوري عاش في أواخر القرن الخامس الميلادي (see Saffrey, StPatr IX, TU 94, 1966). في العصور المسيحية الأولى، بُذلت جهود كثيرة لتحديد شخصيته، فيوسابيوس القيصرى يسجل في (EH 3,4,11) أن ديونوسيوس الذي من كورونثوس والذي يُعرف بالأريوباغي هو أول أسقف لمدينة أثينا، ومع ذلك لا توجد أية إشارة قديمة على أنه كتب أي شئ. ولقد استشهد به أتباع ساويرس الأنطاكي؛ بطريرك أنطاكية، في جملة استشهاداتهم بالآباء مثل: القديس أثناسيوس الرسولي، القديس كيرلس، وغريغوريوس الصانع العجائب، أثناء حديثهم عن الطبيعة الواحدة للمسيح بعد الاتحاد في المجمع الذي أُقيم في القسطنطينية Synod of Constantinople سنة (٥٣٢م) بينهم وبين الموالين لمجمع خلقيدونية برئاسة هيباتيوس (Hypatius of Ephesus) الذي من أفسس، ولقد شكك هيباتيوس هذا في صحة كتابات ديونسيوس وأصالتها. وقد كَتَبَ مكسيموس المعترف تفسيرًا لكتاب ديونوسيوس المسمى بـــ (Corpus Areopagiticum)، مما أعطى هذا الكتاب أصاله وأرثوذكسية. وفي الكنيسة الغربية نجد أن البابا غريغوريوس الكبير(٥٩٠م) يستشهد به، ولكن طريقته في الاستشهاد به تُظهر أنه ذكرها كبيان (أي لم يعرفها ولكنه ذكرها مثلما تُذكر الكتب المفقودة لأحد الآباء). كذلك قام هلدوين من دير القديس ديونوسيوس الموجود في باريس(Hilduin of the monastery of St. Denys near Paris) (٨٣٨م) بترجمة كتاب Corpus Areopagiticum، والذي كان يعتقد أن ديونوسيوس المنحول هو القديس ديونوسيوس الذي من فرنسا وهذا الرأي=

أنطولوجيّة لاهوتيّة قويّة. مع أنّ الاثنين مسيحيّان أفلاطونيان، يجب أن نذكر من البداية أنّ مدخلهم ليس ببساطة تدريبًا تأمُّليًّا في البحث اللاهوتي والفلسفي ولكن بالأحرى هو محاولة لتفسير حقائق الكتب المُقدّسة، من أجل جعل

=غير محتمل، لأن القديس ديونوسيوس أتى إلى فرنسا بعد سنة ٢٥٠م (Gregory of tours "Hist. France. i. 30"). وأيضًا، كتب أُسارثُس(Usardus)؛ راهب بينيدكتي، في كتابه "سير الشهداء" أن ذكرى الأريوباغي هي ٣ أكتوبر، بينما ذكرى ديونيسيوس قديس فرنسا هي ٩ أكتوبر. وبعد ذلك ترجم جون سكوتوس أروجينا (٨٦٢م) (John Scottus Eriugena) كتاب (Corpus Areopagiticum) مما جعل ديونوسيوس هذا في الكنيسة الغربية هو النموذج الأصلي للاهوتى المسيحى (archetypal Christian theologian). كذلك شكك توما الأكويني (١٢٧٤م) في أصاله كتاباته (see Hausherr, OCP 2 [1936], 484–90). وعلى العموم كان يُنظر إلى (Corpus Areopagiticum) في العصور الوسطى على أنه من العصر الرسولى. ولكن في عصر النهضة دحض لورينزو فالا (Lorenzo Valla) (١٤٥٧م) ذلك في (*In novum Testamentum annotationes apprime utiles,* Basel, 1526)، وكذلك دحض إرازموس (Erasmus) (١٥٠٥م) هذا الإدعاء في (*In novum Testamentum annotationes item ab ipso recognitae,* Basel, 1522). يقول باردنهور Bardenhewer؛ وهو عالم آبائيات ألماني كاثوليكي (١٨٥١-١٩٣٥م) في كتابه (Patrol. p. 538):"لقد أثبت كلٍ من كوخ (Koch) وستيجلماير (Stiglmayr) أن اسم الأريوباغي هو اسم مستعار، وأن هذه الكتابات ترجع للقرن الخامس". بالطبع هناك رأي يرى أن ديونوسيوس المنحول هو نفسه ديونوسيوس الأريوباغي الوارد ذكره في سفر أعمال الرسل. انظر: "Andrew Louth, Deny the Areopagite 1999, pp. 1- 16". هناك تفسير لماذا استخدم ديونوسيوس المنحول شخصية ديونوسيوس الأريوباغي؟ وهو أنه كان يسعى ليحوّل المفكرين اليونانين للمسيح، كما فعل القديس بولس الرسول مع ديونوسيوس الأريوباغي. وعلى الرغم من أنه ثَبتٌ عدم صحة نسبه كتاباته لديونوسيوس الأريوباغي، إلاّ أنه لم يفقد مصداقيته كأثيني أفلاطوني مُحدَث، يعرض التقليد المسيحي السري (Christian Mystical Tradition). و قد سُمى ديونوسيوس المنحول بـــ بروكلس المسيحي (Christian Proclus).

من أعماله:

١- مقالة قصيرة في اللاهوت الميستيكي (Mystical Theology) (٥ فصول).

٢- دراسه طويلة في الأسماء الإلهية (Divine Names) (١٣ فصلاً).

٣- دراسة طويلة بعنوان الرئاسات السماوية (The Celestial Hierarchy) (١٥ فصلاً).

٤- دراسة طويلة بعنوان رئاسة الكهنوت (The Ecclesiastical Hierarchy) (٧ فصول).

٥- الرسائل (١٠ رسائل).

٦- مجموعة كتب مفقودة عن رتب الملائكة ، النفس، بر الله والدينونة. المراجع انظر:

1- A Dictionary of Christian Biography edited by: Henry Wace and William C. Piercy. (page 423)
2- Christian Theology Edited by: Jean –Yves Lacoste (Vol. 1, page 475)
3- Dionysius the Areopagite and the Neo-Platonist tradition Despoiling the Hellens Sarah Klitenic Wear and John Dillon, Page 1
4- The origins of the Christian Mystical Tradition from Plato to Denys by: Adrew louth. Page 156.
5- http://en.wikipedia.org/wiki/Pseudo-Dionysius_the_Areopagite

معناها الحقيقي واضحًا. من هذا المنظور كانت الأفلاطونيّة بالنسبة للقديس غريغوريوس وديونسيوس المنحول طريقًا للفهم، إنّها مفتاحٌ أكثر من كونها إجابة.

يبدأ كلاهما بالإشارة الأفلاطونيّة المتعلّقة بـ ''الوجود الحقيقي'' للشكل المُطْلَق للخير، وهكذا يقول غريغوريوس النيسي: ''أن تكون في الكينونة هو بالحقيقة أن تكون''[٢]، بينما يُعْلِن ديونسيوس المنحول أنّ ''ما لا شركة له في الخير على الإطلاق ليس كائنًا ولا يُحسب بين الكائنات''[٣]. ويجب أن نشير إلى أنّ فكرة المشاركة تُشكِّل لكلا المفكرين المسيحيّين البديل اللاّهوتي، بل وأيضًا النقطة الأساسيّة في أنثروبولوجيّتهم.

ويعُلّق القديس غريغوريوس النيسي على (جا٣: ٧) «للتمزيق وقت وللتخييط وقت. للسكوت وقت وللتكلُّم وقت»، فيقول: ''هذه الكلمات ترشد الروح إلى فلسفة عالية. المقطع يُظْهِر أنّ الكون هو مستمرٌّ في حدّ ذاته وأنّه ليس هناك ثمّة تمزُّق في تناغم الوجود، بل سيمفونيّة σύμπνοια في كلّ الكائنات مع بعضها البعض. فالرابطة الداخليّة للكون ليست معرَّضة للخطر، ولكن كلّ شيءٍ تبقَى مُتماسكة أجزاؤه περικρατούμενα عن طريق قوّة الكينونة الحقّ. تلك الكينونة هي الصلاح ذاته αὐτοαγαθότης أو شيء أعلَى من ذلك، إذا وُجدَ اسمٌ يُعبِّر عن الطبيعة التي لا توصف ... إذًا هذا الخير المُطلق، أو هذا الذي هو أعلَى من أي خيرٍ هو بالحقيقة موجود، كان ومازال يمنح، بذاته، هؤلاء الموجودون، كلٌّ من القدرة لنوال الوجود والبقاء في هذا الوجود. كلّ شيءٍ خارج الوجود هو غير كائن ἀνυπαρξία''[٤].

يتبع ديونسيوس المنحول خطوات القديس غريغوريوس، فيتحدّث عن: ''الجمال الذي يفوق كلّ الكائنات ὑπερούσιον κάλλος''، و''الخير الذي هو حَسِنْ بالكلية πάγκαλον'' وفي الوقت ذاته يفوق أي خيرٍ ὑπέρκαλον،

---

[2] *In inscriptiones psalmorum*, ed. J. Mc Donough pp. 62, 26-63, 1. PG 44:480A
[3] *De divinis nominibus*; PG 3:720D.
[4] *In Ecclesiasten*, ed. P. Alexander, p. 406, 1-6. PG 44:724D-725A.

و"كائن دائمًا". ذلك "الذي هو دائمًا خيّر" هو "واحدٌ من نوعه μονοειδές في حدِّ ذاته" و"يحتوي في ذاته وبتسامٍ مصدر جمال كلّ خير؛ لأنّ الطبيعة البسيطة والتي تسمو فوق كلّ خيرٍ هي كائنةٌ قبل كلّ خيرٍ وكلّ صلاح في صورة منفردة ἑνοειδῶς، وهي عِلَّته κατ΄αἰτίαν. من هذا الخير الممنوح لها[٥] يستمد كلّ كائنٍ وجوده ... ويُجمِّع الكلّ في ذاته. والخير هو مُسبِّب الكلّ ποιητικόν αἴτιον، والمُحرِّك للكلِّ، ويحتوي الكلّ معًا في حبِّ جماله ... وبين الكائنات ليس هناك مَنْ لا يُشارك في الخير والجمال"[٦].

بهذا الصدد، الإجابة التي أُمليت بواسطة القديس غريغوريوس النيسي وديونسيوس المنحول لسألة كلة وجود الشرّ تعتمد على فهمهم للّه والتاريخ. اللّه وحده "الكائن الحقيقي"، "هو الخير ذاته" كلّ شيءٍ آخر خُلِقَ بواسطته من العدم *ex nihilo* ويعتمد عليه كلّ من وجودها وصلاحها[٧].

وهكذا اللّه هو بدء التاريخ ونهايته؛ «ليجمع كلّ شيء في المسيح ما في السموات وما على الأرض» (أف١: ١٠). التاريخ يُفهم على أنه تقدُّم كبيرٌ ومستمرٌ من البداية إلى النهاية، يحتوي كلّ شيءٍ، ويُقدِّم كلّ شيء في وحدة وتناغم الحياة الإلهية[٨]. يستخدم المفكران المفردات نفسها لكي يشيرا إلى الاعتماديّة الكيانيّة للكائنات على اللّه. اللّه، "الطبيعة غير المخلوقة"، هو أصل ἀρχή كلّ الخير في الآخرين[٩]، هو "علّة αἴτιον" الوجود وكلّ شيءٍ خيّر وجميل.[١٠]

---

[٥] الحديث هنا عن الكائنات المخلوقة. (المترجم)

[6] PG 3:701C-704B

[7] See D. L. Balas, Μετουσία θεοῦ. *Man's participation in God's perfection according to Saint Gregory of Nyssa* (Rome, 1966) p. 120

[8] Contra Eunomium, ed. W. Jaeger, II: 212, 7-20. PG 45: 797 AB. See also A. J. Philippou "the doctrine of evil in St. Gregory of Nyssa" *Studia Patristica*, IX, 3, ed. F. L. Cross (Berlin 1966) p. 252.

[9] Gregory of Nyssa, *Contra Eunomium*, I, p. 106, 16-17. PG 45:333C. Pseudo-Dionysius, PG 3:721CD, 704A

[10] Gregory of Nyssa, *De virginitate*, ed. J. P. Cavarnos, p. 296,23-24. PG 45:368D. Pseudo-Dionysius, PG 3: 701C, 704AB, 724A, 732B, 736B

"المصدر πηγή-πηγαία καλλονή"[11] والواهب لكلّ جمال[12].

يتحدّث ديونسيوس المنحول عن الله على أنه [كيانٌ] عقليٌّ، ضوء فوق المحسوس، الضياء المنسكب من الربيع، الخير وراء أي ضوء، الذي هو كشعاعٍ يشبه التدفُّق على كلّ الطبيعة الفائقة ὑπερκόσμιον، والطبيعة المُحيطة περικόσμιον، والعقل الطبيعي ἐγκόσμιον. وجود هذا النور فوق المحسوس يجمع بين، ويوحِّد كلّ المُستنيرين، ويُصيِّرهم كاملين ويُعيدهم إلى الكيان الحقيقي، إلى الضوء المُجمِّع الواحد[13]. بالنسبة للقديس غريغوريوس النيسي: "الشرّ يشبه بعض الظلِّ الذي يظهر عند انسحاب أشعّة الشمس"[14].

في هذا الواقع الوجود والخير الوحيد والمطلق، هو الكائن الواحد الذي يجمع كلّ شيءٍ في واحدٍ[15]، الشرّ ليس له مكان، يُعْلِن كلٌّ من غريغوريوس وديونسيوس (المنحول)[16] فهمًا للتاريخ يهيمن عليه شخص المسيح المُتجسِّد والمُقام. في المسيح ومن خلاله يسير الكون كلّه في موكب الجوقة الإلهيّة الفريدة χοροστασία، وفقًا للقديس غريغوريوس[17] أو باستخدام كلمات ديونسيوس المنحول، إلى شركة ملء الله في النموذج الأُحادي للكمال[18] τῆς ἑνοειδοῦς τελειώσεως ἔνθεος μέθξεις.

---

[11] Gregory of Nyssa, *Contra Eunomium*, I, p. 106, 16-17. PG 45: 333C. Pseudo-Dionysius PG 3:704A

[12] 'Τό ὑπερούσιον καλόν κάλλος μέν λέγεται, διά τήν ὑπ'αὐτοῦ πᾶσι τοῖς οὖσι μεταδ= ιδομένην οἰκείως ἑκάστῳ καλλονήν'. Pseudo-Dionysius, PG 3:701C. 'Παντός ἀγαθοῦ χορηγεία ἐν τῇ ἀκτίστῳ θεωρεῖται φύσει.Gregory of Nyssa, *Contra Eunomium*, I, p. 106, 16-17.PG 45:333C. See also p. 212, 17-20. PG 45:797B.

[13] PG 3:701AB

[14] *Oratio Catechetica*, 6, ed. J.H. Srawley, p. 33, 14-15. PG 45:28C

[15] غاية التجسُّد عند هيلاريون هي "أن يأخذنا (الابن المتجسد) في ذاته إلى الله" (PL 10,286). انظر: كتاب الكرازة الرسولية للقديس ايرنيوس، ص ١٠٤ هامش رقم ٣). أما هدف التأنس بحسب إيرينيوس هو جمع الكل في المسيح ἀνακεφαλαιώσις وإحضار الإنسان إلى الحالة الأولى قبل السقوط. ويمكن أن يكتسب الإنسان كل ما فقده في آدم الأول؛ أي "التشبه بالله"، في المسيح وبه. وهكذا فإن "بحسب الصورة" و"بحسب المثال" يُؤسِّس الإنجماع ــ وفق إيرنيوس ــ على الخريستولوجية (أى التعليم عن المسيح)، ويُشدِّد إيرينيوس على أن "بحسب المثال" يتحقَّق بفعل عمل الروح القدس. See Philippou, p. 153, note 2.

[16] See also Philippou, p. 253

[17] *In inscriptions psalmorum*, p. 68, 13-69, 3. PG 44:485 CD

[18] *De ecclesiastica hierarchia*, PG 3: 376A

وتطويرًا لشرحه، يصف ديونسيوس المنحول الشرّ[١٩]، على أنه "غريبٌ عن الخير" ἀλλότριον τἀγαθοῦ، "ليس قائمًا بذاته"[٢٠] ἀνουσιώτερον، ليس الله هو المصدر للشرّ[٢١] كما يدّعي الرواقيّون، إذ هو ليس الجسد الإنساني[٢٢] أو المادّة[٢٣] كما صرَّح أفلاطون. ولكنّه بالأحرى حالة غير طبيعيّة نتيجةً لمرض الإرادة الحرّة[٢٤] βούλησις.

لهذا فالشرّ هو "ضعف وعدم وجود للخير"[٢٥] ἀσθένεια καί ἔλλειψεις τοῦ ἀγαθοῦ، هو "عدم وجود، أو فقدان στέρῃσις للخير". ديونسيوس المنحول في وصفه للشرّ يستخدم مجموعة طويلة من الأفعال السلبيّة: غير المتناغم ἀσυμμετρία، بلا هدف ἄσκοπον، بلا جمال ἀκαλλές، يفتقر إلى الحياة ἄζωον، بلا منطق ἄλογο - ἄνουν، لم يوضع له حدّ ἀτελές، بلا مسكن ثابت ἀνίδρυτον، لا علّة له ἀναίτιον، غير موضوعي ἄγονον، غير فعّال ἀργόν, ἀδρανές، غير مُنظَّم ἄτακτον، متباين ἀνόμοιον، غَيْر مَحدود[٢٦] ἄπειρον، لا وجود له في ذاته ἀνουσιώτερον.[٢٧]

---

[١٩] يقول القديس أثناسيوس في كتابة الخالد تجسُّد الكلمة ــ الطبعة الخامسةــ مؤسسة القديس أنطونيوس: "لأن كل ما هو شر فهو عدم، وكل ما هو خير فهو موجود" (ص ١١، فصل ٦:٤). وفي الرسالة إلى الوثنيين طبعة مكتبة المحبة يقول: "وإذ انحرف بعض اليونانيون عن الطريق المستقيم ولم يعرفوا المسيح، نسبوا للشر وجودًا جوهريًا مستقلاً. وبهذا ارتكبوا خطأً مزدوجًا. بإنكارهم أن الخالق خلق كل الأشياء، وذلك إن كان للشر كيان مستقل من تلقاء ذاته. أو إن كانوا يقصدون أنه خالق كل الأشياء، فإنهم بالطبيعة يعترفون أنه خالق للشر أيضاً. لأن الشر، حسب ادعائهم، كائن ضمن الأشياء الموجوده. الأمر واضح كل الوضوح أن هذا مليء بالمتناقضات، علاوة على استحالته. لأن الشر لا يخرج من الخير، كما أنه غير موجود في الخير، ولا هو نتيجة له، وإلاَّ ففي هذه الحالة لا يمكن أن يكون الخير خيرًا طالما كان مختلطًا بطبيعة الشر أو نتيجة له" (فصل ٦، فقرة ١،٢). (المترجم)

[20] *De divinis nominibus*, PG 3: 724A.

[21] '.... οὐκ ἐν θεῶ τό κακόν, καί τό κακόν οὐκ ἔνθεον....οὐδέ ἐκ θεοῦ τό κακόν'. PG 3: 724A.

[22] *Ibid*. 728C

[23] ἀλλ' οὐδέ τό πολυθρύλλητον."Εν τῇ ὕλῃ τό κακόν, ὥς φασι, καθ'ὅ ὕλῃ" καί γάρ καί αὐτῇ τοῦ κοσμοῦ καί κάλλους και εἴδους ἔχει μετουςίαν'. *Ibid*. 729A

[24] *Ibid*. 736A

[25] *Ibid*. 732B

[٢٦] المقصود "بغير محدود" هنا هو فكرة نظرية بحته، فلا يمكن أن يكون قصد ديونوسيوس (المنحول) أن الشر له كيان غير محدود، وخصوصًا أنه قال: إن الشر ليس قائمًا بذاته ونفى أن يكون الله مصدر الشر .....إلخ. ولكن الشر عند ديونوسيوس المنحول، مثله مثل العديد من الآباء، ليس له وجود في حد ذاته، الخير فقط هو موجود، فالخير وحده=

رغم أننا من الممكن أن نجد تشابهات بين شرح كلٍّ من ديونسيوس المنحول وبروكلِس[٢٨] Proclus،[٢٩] إلاّ أنه من الواضح أنّ القديس غريغوريوس النيسي كان أساسًا لتعاليم ديونيسيوس المنحول. في رأي القديس غريغوريوس عن الشرّ نجد النقاط الأساسيّة لمدخل ديونسيوس. قبل فتره طويلة من بروكلِس، تحدّث غريغوريوس النيسي عن الشرّ على أنه ''التغرُّب عن الحياة الحقيقيّة''[٣٠] ἡ τῆς ὄντως ζωῆς ἀλλοτρίωσης، كغياب وفقدان الخير στέρησις[٣١].

نصّه في خطبته اللاّهوتية هامٌّ جدًّا، إذ يكتب[٣٢]: ''إنّ الفارق بين الفضيلة والشرّ يجب ألاّ يُنْظَر إليه كما لو كان هناك تمايز بين وجوديْن. ذاك الذي هو غير موجود (أي الشرّ) هو منطقيًّا يقابل ما هو موجود (أي الخير)، ولكنّنا لا يجب أنْ نقول إنّ غير الموجود يُفرَّق بينه وبين الموجود على أنه حقيقة بديله؛ ما يمكن أن نقوله هو أنّ عدم الوجود هو منطقيًّا مقابل للوجود. وبنفس الطريقة الشرّ يُفرَّق بينه وبين الفضيلة، ليس بسبب أنّه يملك وجودًا مستقلاً، ولكنّه تصوّر على أنه نشوءٌ من عدم وجود ما هو خير. وكما نقول فالعمَى منطقيًّا هو عكس النظر، ليس لأنّ العمَى ينتمي إلى الطبيعة كأنّه شيءٌ يملك وجود من

=هو كائن بالحقيقة. الخير طبعاً هنا هو الله الثالوث القدوس، فهو مصدر الخير. والشر هو عدم، فهو غياب الخير، ولنعطى مثالاً توضيحيًا على ذلك: فالليل ليس له وجود أو كيان، ولكن الشمس هي التي لها كيان ووجود بالحقيقة، فهي كوكب مُشع، ولكن الليل هو غياب الشمس أو هو إستدارة جزء معين من الأرض من نور الشمس. ونُعطي مثال آخر هو الظلام: فلا يوجد جوهر أو كيان للظلام، ولكن النور هو الموجود بالحقيقة، والظلام هو إنعدام هذا النور الكائن بالحقيقة. هكذا أيضاً عندما يغيب الخير، أعني الله ينبوع الخير، والذي هو بالطبيعة غير محدود ، يَظْهَر الشر على أنه غير محدود. (المترجم)

[27] *Ibid* 732 D

[28] See W. Volker, *Kontemplation und Ekstase bei Pseudo-Dionysius Areopagita* (Wisebaden, 1958) p. 27.

[٢٩] بروكلس ليسايوس(٤١٠-٤٨٥م) يُعرف أيضًا بالخليفة "الديادوكوس" (Diadochos)، فهو واحد من خلفاء أفلاطون في الأكاديمية التي أُسست في عام٣٨٧ ق.م، وهو يوناني أفلاطوني مُحدَث (Neo-Platonist) . (المترجم)

[30] *De tribui inter mortem et resurrectionem Domini nostri Jesu Christi spatio*, ed. E. Gebhardt, P. 292. 3-4. PG 46:616C

[31] See for example, *Oratio Catechetica*, 6. P. 33, 13-14. PG 45:28C. *In Ecclesiasten*, p. 356. 10. 15. PG 44:681C

[32] 6, p. 33, 4-14. PG 45:28C

تلقاء نفسه، ولكن لأنه فقدان لحاله سابقة، هكذا نقدر أن نقول أنّ الشرّ يُوجَد عندما يكون هناك فقدان للخير"[٣٣].

هكذا بالنسبة لغريغوريوس النيسي: "الشرّ ليس له وجود ἀνυπόστατον، لأنّه يأخذ وجوده ὑπόστασιν من عدم الوجود[٣٤] ἐκ τοῦ μή ὄντος"، "الشرّ في ذاته *per se* لا وجود له، بل هو حاضر في غياب الخير ... الحرمان στέρῃσις من الكينونة هو الشرّ ولكن هذا ليس بوجود"[٣٥]. لذا "الشرّ هو خارج عن اللّه. فطبيعته تُفْهَم ليس لأنّها شيئ في حدّ ذاته ولكن بسبب أنّها شيءٌ ليس جيّدًا"[٣٦]. من خلال هذا السياق نستطيع أن نفهم تأكيد ديونسيوس المنحول أنّه "ليس بالأمر السئ أن تُعاقَب في الجحيم، ولكن بالأحرى أنْ تصبح مستحقًّا للعقاب"[٣٧].

إنه من الملاحظ أنّ تصريح القديس غريغوريوس "الشرّ غير موجود[٣٨] τό κακόν ἀνυπόστατον" الذي تناوله ديونسيوس المنحول بقوله إنّ "الشرّ ليس له وجود[٣٩] οὔτε ὑπόστασιν ἔχει"، بينما تعبيره "الشرّ له وجود

---

[٣٣] نجد في قاموس الديانات:

(*dictionary of religions,* edited by john R. HINNELLS published by penguin group, expanded edition page 162: evil, Christian doctrine) تحت عنوان الشر، (في) العقيدة المسيحية، يقول: لقد سعى المسيحيون ليفسروا أصل ومعنى الشر والمعاناه، وخاصةً للدفاع عن خيرية وقوة (قدرة) الله ضد الاعتراضيات المتصاعدة عن وجود الشر، التوحيد المسيحي كان مقاومًا للثنائية ووحدة الوجود، على الرغم أن الثنائية ووحدة الوجود كانا لهما تأثير على الفلاسفة المسيحيين والطوائف مثل البيجنسيس Albegensis . انظر الهرطقات (مسيحى العصور الوسطى). الشيطان كقوة شيطانية هو خاضع لله. وقد فسَّر العلاَّمه أوريجانوس (١٨٥-٢٥٤م)، والقديس توما الأكويني (١٢٢٥-١٢٧٤م) وآخرون كثيرون قد فسروا الشرَ على أنه سوء استخدام للإرادة الإنسانية والتي هي مسموحة لتحقيق الخير. بينما ليبنيز Leibniz (١٦٤٦-١٧١٥م)؛ الذي صاغ تعبير الـــtheodicy (والذي يعني أن الله هو كلي الحب وكلي القدرة وكلي العلم)، يرى أن العالم هو الأفضل بين العوالم الممكنه الأخرى، وبالشر أنه هام ليسلط الضوء على جاذبيته. المعالجات الحديثة لمشكلة الشر تتأرجح بين النظرة المتفائلة والمتشائمة بخصوص قدرة الإنسان على الخير وامكانية مقاومة الشر في العالم. هذه الاختلافات تتعلّق جزئيًا بالآراء المتغيرة الخاصة بالإنسانية وبالخطية، وعُولجت المعاناه على أنها مناسبة للتطوير الروحي في خضوع لله، إتباعاً لمثال يسوع المسيح. (المترجم)

[34] *In Ecclesiasten*, p. 300, 21-23. PG 44:637BC

[35] *Ibid*, p. 356, 9-15. PG 681 BC

[36] *Ibid*, p. 407, 1-3. PG 725A

[37] *De divinis nominibus*, PG 3:724BC

[38] *In Ecclesiasten*, p. 300, 21-23. PG 44:637BC

[39] *De divinis nominibus*, PG 3:732C

اعتمادي παρυφίσταται''[٤٠] أصبح في شرح ديونسيوس ''الشرّ يمتلك وجود مزيَّف[٤١] παρυπόστασιν''.

على الرغم من أنّ كلا المفكرين استخدما تعبيرًا أفلاطونيًّا في شرح الشرّ على أنه غياب أو حرمان من الخير στέρησις τοῦ ἀγαθοῦ، إلاّ أنّ هذا المدخل هو نتاج خلفيّتهم الكتابية أكثر من معرفتهم الفلسفيّة المشتركة. الخير ἀγαθόν، يفهم ببساطة في مصطلحات مسيحيّة، هذا يعني أنّ الخير بالطبيعة هو الله الثالوث؛ الآب، والابن، والروح القدس. الإنسان يصبح قادرًا على استقبال الخير فقط عن طريق عمل الله في التاريخ. ديونسيوس المنحول يقتبس من القديس بولس: «لأن منه وبه وله كلّ الأشياء» (رو١١: ٣٦)[٤٢]. الآب، بحسب القديس غريغوريوس، هو النموذج الأصلي للخير[٤٣] τό ἀρχέτυπον ἀγαθόν، الابن هو صورته الكاملة[٤٤] ومع ذلك فوق كلّ خير[٤٥] παντός ἀγαθοῦ ἐπέκεινα ὁ μονογενής θεός، الروح القدس[٤٦] أيضًا خيّر بالطبيعة[٤٧] ἀγαθόν τῇ φύσει. ديونسيوس المنحول يتحدّث أيضًا عن ''الثالوث الواحد Τριαδική Ἑνάς''، الذي هو ''الخير المُشْرِق فوق اللّمعان[٤٨] ὑπερφανής ἀγαθότης''، ''الخير الذي يتجاوز أي خير[٤٩] ὑπεραγαθότης''.

لذا كلّ من القديس غريغوريوس وديونسيوس المنحول يتمسَّكان أنّ أصل الشرّ لا يسكن مع الخير ἀγαθόν، والذي ينتمي إلى الله الثالوث، ولكن هذا

---

[40] *In Ecclesiasten*, p. 356, 9-11. PG 44:681BC
[41] 732C. See also Volker, p. 27.
[42] 708A.
[43] D.L. Balas, p.70. See also S.J. Leys, *L' image de dieu chez saint Gregorie de nysse* (Bruxelles, 1951) p. 124.
[44] *Contra Eunomium*, I, p. 209, 8-11. PG 45: 448A. See also Balas, p. 70.
[45] *Contra Eunomium*, II, p. 192, 12. PG 45: 776A
[46] *De fide ad simplicium*, ed. F. Mueller, p. 66, 3-4. PG 45:141C. See also balas, p. 70
[47] PG 3:593B.
[٤٨] يقول العلاَّمه أوريجانوس في كتاب (المبادئ) عرَّبهُ وقدَّم له وعلَّق عليه ونقحه الأب جورج خوام البولسى ص ١٠٠: ''يجب وضع الجودة في الآب في مبدئها، كما قلنا أعلاه فالابن المولود منه، أو الروح القدس الذي منه ينبثق، يستنسخان في ذاتهما بلا أدنى ريبٍ طبيعة الجودة المكنونة في المصدر، الذي يولد الابن وينبثق الروح القدس''. (المترجم)
[49] PG 3:593C

الشرّ هو بسبب كارثة[٥٠] سابقة للإنسان[٥١]. على الرغم من أنهما لا يعطيان قصّة كاملة تتعلّق بسقوط الكائنات السماويّة (الملائكة)، يعتقد كلاهما أنّ الفعل الأوّلي الذي أدّى إلى سقوط العالم كلّه عن الله، ينتمي إلى الشرير[٥٢]. القديس غريغوريوس وديونسيوس المنحول يفنّدا بقوّة فكرة أنّ الشيطان كائنٌ بذاته، كواقع كياني وشخصي، كلٌّ منهما يقول بوضوح إنّ الشياطين ليسوا أشرارًا بالطبيعة οὐ φύσει κακοί[٥٣]. حيث إن الصلاح الإلهي، الكيان الحقّ، يصنع فقط الخير[٥٤] الشياطين أيضًا خُلِقَت صالحة (كملائكة) تتشارك مع الواحد والمطلق الصلاح. الشرّ نتج عن الطبيعة السماويّة الساقطة.

وحتى نستخدم كلمات ديونسيوس المنحول، هي نوع من المرض نتيجة للإرادة الحرّة[٥٥] ἀσθενήσαντες τηρῆσαι τήν ἑαυτῶν ἀρχήν، والابتعاد عن παρατροπή، وعدم الحصول [على] ἀπευξία، والهروب ἀποφυγή، والهبوط بعيدًا عن ἀτόπτωσις من الكمال المنقذ[٥٦].

على هذه الأسس يُفسَّر سقوط البشر على أنه القبول الحرّ للإغواء الخارجي للشيطان. الوعد الكاذب الذي للشيطان ليكشف الوجود الحقيقي ويقود الإنسان للوجود الحقيقي بواسطة طريقة أخرى غير الطريقة المُقترحة من قبل الله كانت نتيجته (الحديث هنا عن غواية الشيطان) الابتعاد عن الخالق والهبوط إلى الشرّ. القديس غريغوريوس يتحدّث عن امتزاج الشرّ بإرادة الإنسان[٥٧]. عن "سرقة ὑπεξαίρεσις" للخير أتمّها الشيطان. ولذا "تكوين الشرّ نشأ من خلال غياب الجمال" [٥٨].

---

[50] Esp. concerning the teaching of Gregory of Nyssa see philippou, p. 254

[٥١] الحديث عن سقوط الملائكة الذي كان سابقاً للإنسان. (المترجم)

[52] Esp. concerning the teaching of Gregory of Nyssa see philippou, p. 254.

[53] Gregory of Nyssa, *Oratio Catechetica*, 6, pp. 32, 12-36, 2. PG 45:28B- 29B. Pseudo-Dionysius, 725B.

[54] 'Τό γάρ ἀγαθόν ἀγαθά παράγει καί ὑφίστησι'. *Ibid*, 725A

[55] *Ibid*, 725A.

[56] *Ibid*, 725B.

[57] *Oratio Catechetica*, 6 p. 37, 2-4. PG 45:29C

[58] 'Καί τούτῳ γίνεται τῶ τρόπῳ τοῦ κακοῦ ἡ γένεσις, διά τῆς ὑπεξαιρέσεως τοῦ καλοῦ παρυφισταμένη. *De hominis opificio*, 12; PG 44:164A.

على الرغم من أنّ الشيطان أعُتبر للعديد على أنه الإجابه الجاهزة للسؤال الخاص بالشرّ[٥٩]، إنه من الواضح أنّ غريغوريوس وديونسيوس المنحول يريدا أن يؤكّدا أنّ أصل الشرّ لا يبقَى مع الله ولا هو ''حقيقة مُشخصنة''. إنّ بحثهم عن ''الوجود الحقيقي'' والخير الأسمَى له هدف معيّن: الدفاع عن الإيمان المسيحي ضدّ أية ''تعاليم ثنائيّة''، وخصوصًا ضدّ ''نظام ماني''. كلاهما يعيش في ''وسط'' تاريخي حيث للمانيين تأثيرٌ كبيرٌ. إنهما يقدّما ''دفاعًا كاملاً ضدّ المانيين''.

إنَّ من المعروف أنّ المانية نظام ثنائي متماسك وتوافقي اعتمادًا على افتراض صراع أبدي بين النور والظلمة. النور يُحدَّد على أنه خير، والظلمة على أنها شرٌّ. الخير والشرّ فُهِما على أنهما كيانين متضادّين في الأصل ومنفصلين عن بعضهما البعض[٦٠]. بحسب النظام الماني، الإنسان متورِّط أيضًا في هذا الصراع بين الخير والشرّ، حيث إنّ أرواح الظلمة خلقت جسده، بينما روحه مصدرها الألوهة[٦١]. في مقابل هذه الثنائيّة الدراميّة، وفي نفس الوقت المتشائمة وغير الإنسانيّة، يقدِّم القديس غريغوريوس وديونسيوس المنحول ـ كما سبق الإشارة ـ فهمًا أرثوذكسيًّا عن الله والتاريخ، عن طريق الإصرار على الوجود المطلق والوحدة للإلوهيّة عن طريق تحطيم فرضيّة الثنائيّة، فيتحدّثا عن الله على إنه الوجود الحقيقي والخير بالطبيعة، ويرفضان رؤية الشرّ كوحدة كيانيّة. لإثبات ذلك، يستخدم ديونسيوس المنحول، ضمن براهينه الأخرى، الصورة الكتابيّة عن الشجرة التي تحدّث عنها المانيين[٦٢]. «لا تقدر شجرة جيّدة أن تصنع أثمارًا رديئة» (متى٧: ١٨)، وتبعًا لذلك، الله لا هو مصدر الشرّ، ولا الشرّ له وجودٌ، وعلى هذا النحو، الشرّ ليس كائنًا حقيقيًّا على قدم المساواة مقارنةً بالله[٦٣].

---

[59] W. E. G. Floyd, *Clement of Alexandria's treatment of the problem of evil* (Oxford, 1971) p. 61.
[60] See A. Harnack, *History of Dogma*, transl. by N. Buchanan, III: pp. 323-324
[61] John of Damascus, *Dialogus contra Manichaeos*, PG 94:1508D
[62] *Ibid*, 1508B. Pseudo-Dionysius, 721C
[63] 'Πᾶσα γάρ δυάς οὐκ ἀρχή, μονάς δέ ἔσται πάσης δυάς ος ἀρχή... Καί μήν οὔτε δύο τῶν ὄντων ἐναντίας ἀρχάς δυνατόν εἶναι, καί ταύτας ἐν ἀλλήλαις καί ἐν τῶ παντί, καί μαχομένας'.721CD

إنَّ من الملاحظ أنّ الحُجَج التي اقترحها القديس غريغوريوس والتي تناولها مجدّدًا ديونسيوس المنحول استُخدِمت في المناظرة مع المانيين وخصوصًا بواسطة يوحنا الدمشقي. في الحقيقة مقالة يوحنا الدمشقي ضدّ المانيين هي تكرار للنقاط الأساسيّة للقديس غريغوريوس وديونسيوس المنحول.

مقارنة نصّ يوحنا الدمشقي بنصوص القديس غريغوريوس وديونسيوس المنحول، يمكننا أن نرى أنه يتبع نفس الحلول اللاّهوتية، وخاصةً العلاقة بين الوجود الحقيقي والخير، من ناحية، وعدم الوجود والشرّ من ناحية أخرى. لذلك يُصرّح يوحنا، في بداية أطروحته، أنّ "الشرّ ليس كائنًا οὐκ ὄν ἡ κακία، وبالحقيقة إنه (الشر) الامتناع وعدم الخير στέρησις καί μή ὄν"[٦٤]، وكما أنّ الحرمان من الديمومة يُقابل الخير، بما أن عدم الوجود هو منطقيًّا مقابل لما هو موجود στέρησίς ἐστι τοῦ εἶναι. إذًا وإن الكائن هو جوهر، فالشرّ ليس قائمًا بذاته[٦٥]. فالمصطلح الديونسيوسي "ليس قائمًا بذاته" أصبح هنا ἀνουσιώτερον "ليس له كيان" بينما ἀνυπαρξία العدم، هذا المصطلح المفضَّل لدى القديس غريغوريوس، يُستخدم أيضًا[٦٦].

بالنسبة ليوحنا الدمشقي، الشرّ أيضًا هو حالة غير طبيعيّة نتيجةً لسوء استخدام الإرادة الحرّة[٦٧]. إنه رميٌّ طوعيٌّ ἀποβολή وحرمانٌ στέρησις لكلّ الأشياء الجيّدة المُعطاه من الله للاستخدام المنطقي[٦٨]. يوحنا الدمشقي مثل القديس غريغوريوس وديونسيوس المنحول، يصر على اعتماد وجود الكائنات على الله. لذا عندما يكتب القديس غريغوريوس النيسي أنّ الله "يجعل الخليقة متماسكة في الوجود[٦٩] ἐν τῷ εἶναι συνέχει τά ὄντα"،

---

[64] PG 94:15080B
[65] *Ibid*, PG 1516D-1517A
[66] *Ibid*, 1517A. See also 1520C
[67] 1520C. 1545C.
[68] 1517ABC
[69] *De anima et resurectione*, PG 46, 24C. See also *In Ecclesiasten*, p. 406, 5-7. PG 44:724C. For Fuller discussion see Balas, pp. 116ff

يقول يوحنا الدمشقى أيضًا إنّ الله ''يحفظ ويجعل الخليقة متماسكة في الوجود συγκρατεῖ καί συνέχει τά ὄντα ἐν τῶ εἶναι''.[٧٠]

على ضوء هذا، يرسم يوحنا الدمشقي الاستنتاج أنّ كلّ شيءٍ خارج الله، الذي هو الوجود المطلق، هو غير موجود. نحن قد اقتبسنا عبارة القديس غريغوريوس إنّ ''الشرّ غير موجود في ذاته ولكنه يُجلَب إلى الوجود الاعتمادي عن طريق هجرة الخير''[٧١]

ἡ κακία καθ΄ἑαυτήν οὐχ ὑφίσταται,ἀλλά τῆ στερήσει τοῦ ἀγαθοῦ παρυφίσταται

ولقد أشرنا إلى أنّ ديونسيوس المنحول يغيّر عبارة القديس غريغوريوس قليلاً، فيصيغها كما يلى[٧٢]: ''الشرّ ليس له وجود، ولكن له وجود اعتمادي؛ لا يأتي إلى الوجود بذاته ولكن بسبب الخير''[٧٣]

διό οὔτε ὑπόστασιν ἔχει τό κακόν,ἄλλά παρυπόστασιν,τοῦ ἀγαθοῦ ἕνεκα καί οὐχ ἑαυτοῦ γινόμενον .

ويوحنا الدمشقي ينسخ هذا المقطع لديونسيوس المنحول كلمة كلمة[٧٤]:

διό οὐδέ ὑποόστασιν ἔχει τό κακόν, ἄλλά παρυπόστασιν, τοῦ ἀγαθοῦ ἕνεκα καί οὐχ ἑαυτοῦ γινόμενον

إنّ نيّة يوحنا الدمشقي، في مقالته ضد المانيين، هى لكي يثبت أنّ الشرّ ليس وحدة كيانيّة، وأنّ الله الوحيد هو ''من هو''. على هذا الأساس، أفعال الله ووجوده يغطّي كلّ شيءٍ، بما في ذلك الشيطان، والذي هو، مع ذلك لا يملك قابليّة الإرادة لتقبُّل ذلك. مجدّدًا نجد يوحنا الدمشقي ينسخ (من)

---

[70] PG 94:1540D
[71] *In Ecclesiasten*, p. 356, 9-11. PG 44:681BC
[72] PG 3:732C.
[٧٣] المقصود هنا هجرة الخير والذي يؤدى بدورة إلى نشوء الشر، فالشر ليس جوهر ولكنه عدم. (المترجم)
[74] PG 94:1560C.

ديونسيوس المنحول، عندما يكتب أنّ "الجحيم ليس بالأمر السيء، ولكن السئ بالأحرى هو أن تجعل نفسك مستحقًّا للجحيم"[٧٥]

οὐ γάρ ἡ κόλασις κακή, ἄλλά τό ἄξιον ἑαυτόν ποιῆσαι κολάσεως

إجمالاً، بعد ذلك من الممكن أن نقول: إنّ كلاً من القديس غريغوريوس وديونسيوس المنحول يتّفقا على أنّ اللّه فقط هو الكائن وهو الخير ذاته. كلّ شيء آخر خُلق بواسطته ويعتمد عليه. على هذا الأساس، الشرّ، يُوصف على أنه الحرمان من الخير، هو حقيقة غير مُشخصنة ἀνυπόστατος. إنّ فهمهم للشرّ كغياب الخير، مع أن هذا التفسير قريب جدًّا من التفسير الأفلاطوني، إلاّ أنه ليس مجرّد مدخل فلسفي، ولكن تفسير واضح للنصوص الكتابيّة. لذا عند الحديث عن الشر، فإنّ كلاً من القديس غريغوريوس وديونسيوس المنحول لم يقصدا أن يخمّنا، ولكن ليواجها خصمًا، أي المانية.

إنّ دراسة حوار يوحنا الدمشقي ضد المانيين، من الممكن أن تجعلنا ندرك أنّ الآباء قد تمّت قراءتهم عن طريق الآباء. يوحنا الدمشقي لم يتبع فقط حجج غريغوريوس وديونسيوس ولكنه أحيانًا نسخها[٧٦].

---

75 PG 94:1560B

٧٦ قرأ الآباء ما كتبه الآباء السابقين لهم: انظر على سبيل المثال لا الحصر "دفاع عن قانون إيمان مجمع نيقية" للقديس أثناسيوس الرسولى، إعداد القس أثناسيوس فهمي جورج، الطبعة الأولى ١٩٩٨، ص ٥٢- ٥٦، حيث يستشهد القديس أثناسيوس بثيؤغنسطس، وديونوسيوس السكندرى وديونوسيوس الروماني، والعلاَّمه أوريجانوس. انظر أيضًا كتاب "مجمع خلقيدونية إعادة فحص" للأب ف. سي. صموئيل، ترجمة دكتور عماد موريس اسكندر ومراجعة دكتور جوزيف موريس فلتس، الطبعة الأولى ٢٠٠٩، إذ يقول المترجم في الملحق الذي أعده ص. ٥٩٤: "ورغم أن فكر ق. غريغوريوس حول الثالوث القدوس كان يتفق في شكله العام مع ما قدمة ق. باسيليوس، وق. غريغوريوس النيصي، إلاَّ أنه عاد و تبنَّى مفهوماً أكثر قرباً للقديس أثناسيوس..... "، وفي ص. ٥٩٦: "كما تبنَّى ق. كيرلس مفهوم القديس أثناسيوس وق. إبيفانوس عن وحدة المبدأ... ". (المترجم)